في الأخلاق

الكبرياء

الكبرياء صفة استأثر بها الخالق جل وعلا وزين بها عرشه المقدس ونهى عباده عن التخلق بها

وقد اقتضت سنة الله في خلقه أن يفضل بعض الناس على بعض في الرزق، وتلك حكمة أوجدها المولى لتنظيم ملكه وعمران أرضه، لا ليسخر الناس بعضهم على بعض — ولكن هناك جماعة خالفوا حكم ربهم فكثيرون جعلوا الكبرياء مقدمة لخصائلهم المشئومة فتراهم ينظرون إلى الناس نظرة استصغار واستخفاف يرون الرجل طفلا والحر عبداً والمرءوس خادما، لا يرحمون الصغير ولا يواسون الفقير، ومما يزيدنا حزنا أن الكبر منتشر بيننا، فلا يجرؤ الفقير منا أن يخاطب الغني ويستنكف الرئيس أن يتفاهم مع مرءوسه، وتراثنا قد فقدنا الشجاعة الأدبية المطلوبة — هذا بخلاف بعض الأمم الأخرى التي يتحلى أهلها بالتواضع ولين الجانب فالعظماء والفقراء وجميع الطبقات عندهم على حد سواء في المعاملة، وهناك نرى العظيم يقود سيارته بنفسه وإذ ذاك يخضع لأمر الشرطي المكلف بتنظيم المرور فيقف حين يأمره بالوقوف ويسير على جانب الطريق بكل احترام لذلك الشرطي البسيط : بهذا وبغيره من الأخلاق الفاضلة سبقنا غيرنا ووقفت نهضتنا وتمصت أعمالنا

من أنت أيها المتكبر وما الذي دعاك إلى الكبر ؟ ألم تكن مخلوقا ضعيفا تخاطب الناس بلسان خشن ولا ينقصك إلا أن تقول «أنا ربكم الأعلى» ؟ تمشي في الأرض مرحا وتسعى بين العباد فسادا في غير حياء ولا خجل ؟! أتضمن بقاء النعمة التي أوتيت إياها؟ كيف ذلك والله يقول « وتلك الأيام نداولها بين الناس » : أنظر إلى ما كان عليه سيد الخلق من التواضع ولين الجانب، فكان عليه السلام يعامل الناس جميعا بالحسنى، وكان يواسي الفقراء، ويقضي حوائجهم ويعود مرضاهم ؛ ويفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم، وكان يخصف نعله بنفسه، ويحمل ما يشتريه بين يديه الشريفتين، في حين أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتسابقون في حمل ما يشتريه فيمانعهم بقوله « صاحب الشيء أولى به » قال عليه السلام : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر »

فالتواضع زينة يتحلى بها كل مؤمن صالح، وجوهرة ثمينة يحتفظ بها من يريد السعادة في الدنيا والآخرة

سيد احمد مبارك الفنائي
مدرس بمدرسة كرنك الاميرية — الاقليمية